

## معضلة الاندماج الثقافي والأدبي في العالم الإسلامي

### مسألة المواطنة أنموذجاً

#### *The Dilemma of Cultural and Literary Integration in the Islamic World: Citizenship as a Model*

د. لزرق لخدرد \* Dr. Lazreg Lakhdar

مديرية الشؤون الدينية والأوقاف / قسنطينة

[lakhdarlaz@gmail.com](mailto:lakhdarlaz@gmail.com)

الإرسال: 2026/01/12 القبول: 2026/04/09 النشر: 2026/04/30

ملخص:

تبحث هذه الدراسة إشكالية الاندماج الثقافي والأدبي في العالم الإسلامي، في ضوء التوتر القائم بين المرجعية الدينية ومتطلبات الدولة الحديثة. وتهدف إلى تشخيص العوائق التي تحول دون تحقيق هذا الاندماج، وتحليل محدداته المعرفية والاجتماعية. اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي المقارن، وخلصت إلى أن الإشكال لا يكمن في تعارض جوهري بين الدين والمواطنة، بل في طبيعة المقاربات المنهجية لفهم النصوص، خاصة غياب التمييز بين الثابت والمتغير. كما أبرزت جملة من العوائق، منها: الاغتراب الفكري، والعزلة الثقافية، وضعف مواكبة الفقه للتجولات المعاصرة. واقترحت الدراسة مسارات إصلاحية تشمل تحديث التعليم، وتجديد الخطاب الديني، وتطوير المقاربات السياسية. وتؤكد أن تحقيق الاندماج يقتضي إعادة تأسيس منهجي قائم على المقاصد والانفتاح.

كلمات مفتاحية: الاندماج الثقافي، الاندماج الأدبي، المواطنة، الخطاب الديني، الدولة الحديثة، المقاصد الشرعية.

#### Summary:

This study examines cultural and literary integration in the Muslim world amid tensions between religious reference and the modern state. It aims to identify key obstacles and analyze their intellectual and social determinants. Using a comparative analytical approach, the study finds that the issue does not lie in an inherent contradiction between religion and citizenship, but rather in methodological approaches to interpreting religious texts, particularly the lack of distinction between immutable and contextual elements. Key challenges include intellectual alienation, cultural isolation, and the limited adaptability of contemporary jurisprudence. The study proposes reform strategies such as educational reform, renewal of religious discourse, and political development. It concludes that integration requires an epistemological reconstruction grounded in maqasid and openness.

**Keywords:** Cultural Integration, Literary Integration, Citizenship, Religious Discourse, Modern State, Maqasid al-Sharia.

\*\*

## \*-مقدمة

يشهد العالم الإسلامي في العقود الأخيرة تحولات عميقة على المستويين الثقافي والفكري، نتيجة تداخل عوامل داخلية وخارجية، من أبرزها تسارع العولمة، وتنامي وسائل الاتصال، وتزايد الاحتكاك بين المرجعيات الحضارية المختلفة، وقد أفرز هذا الواقع حالة من التوتر بين مكونات الهوية الثقافية، وبين أنماط الخطاب الديني المتداولة، خاصة في ظل تعدد مصادر التلقي وتنافسها على تشكيل وعي الأفراد، ولا سيما فئة الشباب.

وفي هذا السياق، يبرز سؤال الاندماج الثقافي والأدبي بوصفه إشكالية مركزية، لا تتعلق فقط بمدى قدرة المجتمعات الإسلامية على تحقيق التماسك الداخلي، بل تتجاوز ذلك إلى طبيعة العلاقة بين الفرد ومنظومة القيم والخطابات التي تؤثر فهمه للدين وللعالم، إذ لم يعد الاندماج مقتصرًا على مجرد التعايش بين مكونات المجتمع، بل أصبح رهيئًا بمدى تحقق انسجام فعلي بين المرجعيات الثقافية، وقدرة الخطاب الديني الرسمي على الاستجابة لتحولات الواقع وإقناع الفاعلين الاجتماعيين.

غير أن هذا المسار لا يخلو من تحديات عميقة، تتجلى في ضعف حضور مفهوم المواطنة بوصفه إطارًا جامعًا، وفي تعدد المرجعيات الفكرية، إضافة إلى تنامي خطابات دينية بديلة ذات نزعة متطرفة، استطاعت -في كثير من الأحيان- أن تستقطب فئات من الشباب، مستفيدة من الفراغ القيمي وضعف الوسائط الثقافية التقليدية، وهو ما يجعل من دراسة الاندماج الثقافي والأدبي مدخلًا لفهم تحولات الوعي في المجتمعات الإسلامية، والكشف عن الشروط الكفيلة بإعادة بناء علاقة متوازنة بين الدين والمجتمع، في إطار رؤية إسلامية منفتحة.

## -إشكالية الدراسة:

إنّ سؤال المواطنة في هذه المجتمعات لا يزال يجد الكثير من الإشكالات، مما صعب مسألة الاندماج الثقافي والأدبي، وحتّم على الكثيرين ممن يشتغلون في هذا المجال أن يُبدئوا ويعيدوا في مثل هكذا قضايا، ذلك أن الوعي الجماعي لا يزال يجد في مثل هذه الأطروحات، ابتعادا عن الأصالة، وركونا إلى ما تنتجه الحداثة وما بعدها من أفكار وفلسفات.

والسؤال المحوري المطروح، هو: ما حدود وإمكانات تحقيق اندماج ثقافي وأدبي في المجتمعات الإسلامية، قادرٍ على توجيه وعي الشباب نحو الخطاب الديني الوسطي، في مقابل الخطابات المتطرفة، وفي ظلّ أيضاً إشكالات الهوية والمواطنة وتعدد المرجعيات؟ ويندرج تحت ذلك أسئلة فرعية:

1- ما طبيعة حضور مفهوم المواطنة في الوعي الجمعي للشعوب الإسلامية وفي خطاب النخبة، وكيف يؤثر ذلك في تحقيق الاندماج الثقافي والأدبي؟

2- ما أبرز المحددات الثقافية والسياسية والمعرفية التي تتحكم في عملية الاندماج الثقافي والأدبي في المجتمعات الإسلامية؟

3- وما الآفاق النظرية والعملية الكفيلة بتحقيق اندماج ثقافي وأدبي متوازن، في ظلّ رؤية إسلامية منفتحة تستجيب لتحديات العصر؟

-الدراسات السابقة: على الرغم من أهمية موضوع الاندماج الثقافي والأدبي في المجتمعات الإسلامية، إلا أن المتتبع للأدبيات العلمية يلاحظ ندرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع في شموليته، خاصة من حيث الربط بين البعد الثقافي والبعد الأدبي المرتبط بالخطاب الديني وتلقيه لدى فئة الشباب. ومع ذلك، يمكن الوقوف على عدد من الدراسات التي قاربت بعض جوانب هذه الإشكالية.

-في هذا السياق، تبرز دراسة ناصر الدين سعيدوني الموسومة بـ "المسألة الثقافية في الجزائر (النخبة-الهوية-اللغة): دراسة تاريخية نقدية"، حيث خصصت قسمًا لمناقشة إشكالية الاندماج الثقافي ضمن عنوان: "المشهد الثقافي الجزائري ومعضلة التكامل والاندماج الثقافي"، وقد ركزت هذه الدراسة على تأثير التناقضات الفكرية والاختلافات الإيديولوجية في بناء الدولة الوطنية. غير أن المقاربة التي اعتمدها الباحث اتسمت بغلبة البعد التاريخي والسياسي، مما جعلها تبتعد نسبياً عن تحليل آليات الاندماج الثقافي في مستواه المجتمعي والتواصلي، فضلاً عن غياب تناول المباشر لمسألة الاندماج الأدبي في علاقته بالخطاب الديني. (سعيدوني، 2021، ص 207-461).

ومن جهة أخرى، تناولت بعض المقالات الصحفية والعلمية إشكالية الاندماج في سياقات مختلفة، خاصة في مجتمعات المهجر، كما في مقال الكاتبة علا بياض بعنوان "الهجرة: معضلة الاندماج في المجتمعات الجديدة"، (جريدة التيلغراف، 21 ديسمبر، 2023م) وكذلك مقال محمد نور فرهود حول "عوامل وعقبات الاندماج في بلاد المهجر. مدونات الجزيرة، بتاريخ 18 جويلية 2018)

وعلى الرغم من أن هذه الدراسات تنتهي إلى سياق مغاير لموضوع البحث، إلا أنها تقدم إضاءات مهمة حول العوامل النفسية والاجتماعية المؤثرة في اندماج الأفراد، وهو ما يمكن الاستفادة منه في فهم آليات التفاعل داخل المجتمعات الإسلامية، مع مراعاة خصوصية السياق الثقافي والديني.

وبناءً على ذلك، يتبين أن الدراسات السابقة، رغم أهميتها، قد تناولت موضوع الاندماج من زوايا جزئية، ولم تعالج بشكل مباشر إشكالية الاندماج الثقافي والأدبي في بعدها المرتبط بتلقي الخطاب الديني لدى الشباب، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى مقارنته وتحليله.

#### -أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

1-تشخيص حالة التوتر والانفصام الثقافي والأدبي في المجتمعات الإسلامية وتحليل أسبابها.

2- دراسة تمثيلات مفهوم المواطنة في وعي الشعوب والنخب .

3-تحليل أثر غياب المواطنة الفاعلة في إعاقة الاندماج الثقافي والأدبي .

4-الكشف عن العوائق البنيوية والمعرفية المؤثرة في مسار الاندماج .

5- تقديم مقترحات استشرافية لتعزيز الاندماج في ضوء رؤية إسلامية منفتحة.

#### -منهج الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على المنهج التحليلي المقارن، حيث يُعتمد على تحليل المواقف والأقوال المتعلقة بإشكالية الاندماج الثقافي والأدبي، ومقارنتها في ضوء مرجعياتها النظرية والسياقية، مع توظيف أدوات التحليل النقدي لتقييم هذه المواقف، واستجلاء

أوجه القوة والقصور فيها، بما يسمح بتأسيس رؤية تركيبية أقرب إلى الموضوعية. كما يقتضي موضوع الدراسة توظيف مقارنة بينية، تجمع بين التحليل الثقافي، والسوسيولوجي، والديني.

-خطة الدراسة:

وللإجابة عن إشكالية البحث، قُسمت الدراسة إلى مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

### المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للاندماج الثقافي والأدبي.

أتناول في هذه النقطة بعض الاصطلاحات والمفاهيم الواردة في عنوان البحث.

#### 1.1 التعاريف والمفاهيم:

أولاً : الاندماج: يدور مفهوم الاندماج في اللغة حول معنى الانضمام والانصهار والتداخل، إذ يُرجع ابن فارس أصل (دمج) إلى الدلالة على الانطواء والستر، مما يفيد معنى التداخل بحيث يصعب التمييز بين الأجزاء المتداخلة (ابن فارس، 1979، صفحة 299)، وقد يُفهم منه على أنه الدخول في الشيء واستقراره فيه على نحو يجعل منه جزءاً من بنيته الداخلية (الفراي، صفحة 1605) و (مصطفى، الزيات، عبد القادر، و النجار، صفحة 295) و (الجرجاني، 1983، صفحة 15) و (خياط، صفحة 237).

أما في الاصطلاح، فيُستخدم الاندماج للدلالة على حالة من التكامل والتفاعل بين مكونات متعددة، بحيث تفقد استقلالها الجزئي لصالح كيان موحد، سواء في المجال الاجتماعي أو الاقتصادي أو غيره (خياط، صفحة 237)، (أمنشار، 2018).

ثانياً: الثقافة: تحيل الثقافة في أصلها اللغوي إلى معنى الحذق وسرعة الفهم والتمكن، كما في قولهم: "ثقف الشيء" أي أتقنه (الرازي، 1999، صفحة 49) و (ابن منظور، صفحة 19).

أما في الاصطلاح (culture)، فقد تعددت تعريفاتها، ويمكن القول إنها تشمل: مجموع القيم والمعتقدات والمعايير والرموز التي تشكل وعي الفرد والجماعة، وتحدد أنماط السلوك داخل المجتمع (خياط، صفحة 105).

ويؤكد مالك بن نبي أن الثقافة تمثل الإطار غير المرئي الذي يُشكّل شخصية الإنسان وسلوكه، فهي البيئة التي تتكون فيها القيم وتترسخ (بن نبي، 2000، صفحة 74)، (صميّدة، 2020، صفحة 5).

ثالثاً: الأدب: يدور مفهوم الأدب في اللغة حول الظرف وحسن السلوك (الفيروزآبادي، 2005، صفحة 58).

وفي الاصطلاح، يتجاوز الأدب كونه نصوصاً مكتوبة ليصبح: منظومة قيمية وتربوية تُهذّب السلوك، وتوجّه الإنسان نحو الفضيلة (المناوي، 1990، صفحة 42)، (خياط، ص 16)، ثم توسّع ليشمل كل ما يُكتب ويُنقل من معارف، فالمقصود بالتالي هو مجموع النصوص والكتابات التي تُعبّر عن نسق فكري أو ديني معيّن، وتشكل مرجعيته النظرية والتوجيهية، بما يتضمنه ذلك من رؤى ومفاهيم وآليات تأويل تُسهم في تشكيل وعي الأفراد وسلوكهم.

#### رابعاً: الاندماج الثقافي والأدبي (تعريف مركّب)

انطلاقاً من المعاني السابقة، يمكن التمييز بين:

-الاندماج الثقافي: وهو عملية تفاعل داخل المجتمع تؤدي إلى تشكيل منظومة قيمية مشتركة، تحقق التماسك والانتماء، دون إلغاء الخصوصيات (سي يوسف، 2022).

-الاندماج الأدبي: وهو مستوى من التفاعل يتجلى في مدى استيعاب الأفراد للمرجعيات القيمية والمعرفية (وخاصة الدينية ذات البعد المؤسسي الرسمي)، وانخراطهم فيها بوصفها إطاراً موجّهاً للفهم والسلوك.

#### خامساً: العلاقة بين الاندماج الثقافي والأدبي.

يرتبط الاندماج الأدبي بالاندماج الثقافي ارتباطاً وثيقاً، إذ يمكن اعتبار الأول تجلياً وظيفياً للثاني؛ فكلما تحقق التماسك الثقافي داخل المجتمع، ازدادت قابلية الأفراد لتلقي الخطاب المرجعي والانخراط فيه، بينما يؤدي ضعف البنية الثقافية إلى بروز أنماط خطابية بديلة قد تتسم بالتشدد أو الانفصال.

## 2.1 المحددات الرئيسية لعملية الاندماج الثقافي والأدبي:

تُعد عملية الاندماج الثقافي والأدبي نتاجًا لتفاعل جملة من المحددات الفكرية والمعرفية والمؤسسية، التي تؤثر في تشكل وعي الأفراد، وتوجه سلوكهم داخل المجتمع، ومن هذه المحددات، ما يلي:

### أولاً: المحدد الديني.

يمثل الدين مرجعية مركزية في تشكيل الوعي الجمعي داخل المجتمعات الإسلامية، غير أن طريقة توظيف النصوص وتأويلها تلعب دورًا حاسمًا في توجيه هذا الوعي؛ فحين يُفهم الدين في إطار مقاصدي منفتح؛ فإنه يعزز قيم التعايش والتكامل، كما هو الحال في النموذج النبوي في وثيقة المدينة (السهيلي، ع، دت، 240/4 وما بعدها)، التي أرسّت مبادئ العيش المشترك (لخداري، 2021) & (الخراشي، 2024)

### ثانيًا: المحدد القيمي (تصور الآخر).

يتوقف نجاح الاندماج على طبيعة التصور الذي يحمله الفرد عن الآخر، إذ إن الانغلاق في تصور عدائي يؤدي إلى عرقلة أي مشروع للاندماج، وقد أشار القرآن الكريم إلى مبدأ التعايش مع المخالف، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [ الممتحنة: 8-9 ] ، (الخراشي، 2024)، (زواقة، 2019)

### ثالثًا: المحدد المعرفي (المناهج التعليمية).

تلعب المناهج التعليمية دورًا أساسيًا في تشكيل الوعي، إذ يمكن أن تكون أداة لتعزيز قيم الانفتاح، أو عاملاً لترسيخ أنماط فكرية منغلقة، بحسب طبيعة المحتوى وطريقة تقديمه، لذلك فإن إعادة النظر في المناهج، مع التركيز على ترسيخ قيم الحوار والتعايش، يُعدُّ شرطًا أساسيًا لتعزيز الاندماج، يقول الدكتور ناشيد المكي: "وفي سياق إصلاح المنظومة التعليمية يجب العمل على تطهير المنهاج التعليمي والمقررات الدراسية لمادة

التربية الإسلامية على الخصوص من النصوص الدينية الحاملة للأحكام الشرعية القطعية، ومن باقي أشكال التعبير التي تروج أو تشجع أو تبيح مختلف السلوكات والمواقف التي بذكي جذوة العنف، وتثير الكراهية القائمة على اللاتسامح بكل ما يحمله المفهوم من ضغينة وتشدّد وتعصب تجاه الآخر المخالف في الرأي أو الفكر أو العرق أو الدين أو الجنس أو اللون أو المذهب... لأن مثل هذا الصنف من الخطاب الديني أصبح مناقضا لمبادئ حقوق الإنسان بمعناها الكوني، ولا تستجيب لمتطلبات العصر". (المكي، 2018، ص ص: 122-123).

#### رابعاً: المحدد المنهجي (مقاربة النصوص).

تؤثر طريقة التعامل مع النصوص الدينية في تشكيل الوعي، إذ إن القراءة الحرفية المنغلقة قد تؤدي إلى إنتاج تصورات غير متوازنة، في حين أن القراءة المقاصدية المنفتحة تساهم في بناء فهم متوازن.

إن إعادة مقاربة النصوص الدينية مطلب ملح، بل هو الغاية من كل تجديد أو إصلاح، غير أن وضع المنهجية اللازمة لذلك، والاتفاق على خارطة طريق تكون الأساس لهذا العمل، أمر في غاية الأهمية، يقول محمد التهامي الحراق: "...تلك التفسيرات التي يقدمها القدماء ما هي إلا قراءات للنص بالمعنى الحديث لمصطلح "القراءة"، وأن هذه الأخيرة لا تتحقق إلا من خلال وجود نظرية فلسفية هرمينوطيقية لفهم النص، فيتم تفسير النص على وفقها، وهو ما كان معدوما لدى القدماء، لأن طرح فلسفة للمعنى، وبناء نسق خاص بسؤال الفهم؛ يتجاوز القواعد اللغوية والبلاغية، وينظر بوعي في طرائق تعدد الفهم التي كانت ضمن دائرة اللامفكر فيه في العصر الوسيط...". (الحراق، 2016)

وما دام أننا مؤمنون بهذا القرآن، وندعو لأن يكون نورا وهدى للناس في العالمين، ولأننا أيضاً نؤمن بصلاحيته لكل زمان ومكان، فإننا أخيراً نؤمن بأنه معطاء وكريم وجواد للناس جميعاً في كل حقبة تاريخية.

#### خامساً: المحدد الخطابي.

يلعب الخطاب الديني والثقافي (رجال. ح، د.ت، ص23) دوراً مهماً في توجيه الوعي الجمعي، حيث يمكن أن يسهم الخطاب المعتدل في تعزيز الاندماج، بينما قد يؤدي الخطاب الإقصائي إلى تكريس الانقسام، يقول محمد التهامي: "من هنا ضرورة معانقة الخطاب الديني اليوم للتنوير بما هو انفتاح على منتجات وكشوفات العقل الذي كرم به الله تعالى الإنسان، وبما هو بحث حثيث عما يحقق كمالات الفطرة الإنسانية.. وبما هو تعلق بالقيم الإنسانية الكونية المتوافقة مع جوهر ما جاء به الوحي وتحقق به الرسل.. بهذه المثابة في إعادة الاعتبار للعقل، يستطيع الخطاب الديني احتضان الاختلاف والقبول بالتعدد، ويستطيع الذهاب إلى روح الوحي لإنقاذ البشرية من انزلاقات العقل نفسه.. إن هذا النوع من الخطاب هو الذي يحتاجه زماننا بإلحاح واستعجال، حتى يكون هذا الخطاب منار تفكير ومنبع رحمة ومحبة، لا مثار تكفير ومثير تناحر وكراهية" (الحراق، 2016، صفحة 57-58).

\*\*

#### المبحث الثاني: المواطنة في العالم الإسلامي وعلاقتها بالاندماج.

##### 1.2 تعريف المواطنة:

تُعدّ المواطنة (Citoyenneté) من المفاهيم الحديثة التي ارتبطت بسياق تطور الفكر السياسي والقانوني في أوروبا، حيث تشير في دلالتها العامة إلى علاقة قانونية وسياسية تربط الفرد بالدولة، وتُرتّب له مجموعة من الحقوق والواجبات داخل إطار جغرافي محدد، وقد انتقل هذا المفهوم، في سياق التحديث، ليشمل أبعاداً أوسع تتصل بالمشاركة السياسية، والمساواة أمام القانون، وضمان الحريات العامة. (كرومي، 2000) & (أركون، 1995، الصفحات 28-31).

إن المواطنة هي رابطة معنوية أو عقد سياسي ضمني بين الأفراد والدولة، يحصل بمقتضاه هؤلاء على مجموعة من الحقوق مقابل الالتزام بمجموعة من الواجبات، وتكون الدولة ضامناً للحقوق والواجبات المشتركة بينهم (الحداد، 2018).

ويلاحظ أن مفهوم المواطنة لم يكن ثابتاً عبر التاريخ، بل عرف تحولات دلالية عميقة؛ إذ ارتبط في التجربة اليونانية القديمة بفكرة المشاركة في الشأن العام، حيث كان "المواطن" هو ذلك الفرد الذي يساهم في إدارة المدينة (polis)، ويتمتع في الوقت ذاته بحق النقد والمساءلة، مقابل التزامه بالقوانين. (حداد، م، 2018، ص: 22)

أما في التصور الحديث، فقد اتسع مفهوم المواطنة ليشمل جميع الأفراد المنتمين إلى الدولة، دون تمييز قائم على الأصل أو الدين أو الجنس، لتغدو بذلك إطاراً قانونياً يضمن المساواة والحقوق المدنية والسياسية.

ويُفهم من ذلك أنّ المواطنة، في صورتها الحديثة، تمثل بناءً تاريخياً متطوراً، يسعى إلى تنظيم العلاقة بين الفرد والدولة على أساس من الحقوق والواجبات، في إطار من المساواة والاعتراف المتبادل (الشرقي، 2009، الصفحات 29-30).

## 2.2 العلاقة بين المواطنة والاندماج الثقافي والأدبي:

ترتبط المواطنة ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الاندماج الثقافي والأدبي، إذ إنّ المواطنة لا تقتصر على كونها وضعاً قانونياً، بل تمتد لتشكّل إطاراً قيمياً يساهم في بناء التماسك الاجتماعي داخل المجتمع.

في سياق الحداثة، نشأت مفاهيم الدولة، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، ضمن منظومة فكرية متكاملة، تُعدّ المواطنة أحد أبرز تجلياتها، ويجعل هذا السياق من المواطنة مفهوماً حديث النشأة من حيث الصياغة، وإن كانت بعض مضامينها، مثل العدل والتعايش، حاضرة في التجربة الإنسانية عموماً، وفي التاريخ الإسلامي خصوصاً (الشرقي، 2009، الصفحات 29-30).

وفي هذا الإطار، تُطرح إشكالية مدى إمكانية استيعاب مفهوم المواطنة ضمن المرجعية الإسلامية، حيث تتعدد المقاربات الفكرية في هذا الشأن؛ فهناك من يرى إمكانية التوفيق بين المفهومين عبر إعادة قراءة النصوص الدينية في ضوء مقاصد الشريعة، وهناك من يتحفظ على هذا التداخل بحكم اختلاف السياقات التاريخية والمعرفية التي أنتجت كل مفهوم.

كما يُلاحظ أنّ بعض التجارب التاريخية الإسلامية، رغم اختلاف سياقاتها، قد عرفت أشكالاً من التعدد والتعايش، وإن لم تُصغ ضمن مفهوم "المواطنة" بصيغته الحديثة، مما يفتح المجال للمقارنة والتحليل دون إسقاط مباشر للمفاهيم المعاصرة على الماضي، يقول الدكتور الحداد: كل طرح لا يربط المواطنة بالحدثة السياسية؛ يظل غارقاً في التلفيق، أو يخادع الناس باستعمال الكلم في غير مواضعه، وكل دولة لا تنضج فيها فكرة المواطنة تظل مهددة في استقرارها واستقلالها، وكل مجتمع يحيط بعقده الاجتماعي الالتباس لا يحقق الوئام بين أعضائه (الحداد، 2018).

### 3.2 المواطنة والدين في العالم الإسلامي.

تُشكّل العلاقة بين المواطنة والدين في السياق الإسلامي أحد أكثر الحقول إشكالاً من حيث التأسيس النظري، إذ تتقاطع فيها مستويات معرفية متعددة تتصل بحدود المفاهيم، وبطبيعة المرجعيات الحاكمة، وبكيفية إنتاج المعنى داخل النسقين: الديني والحدائي؛ فالمواطنة بوصفها بناءً تاريخياً حديثاً، نشأت ضمن تشكل الدولة الوطنية، واستقرت على منطق الحقوق والواجبات المتساوية داخل المجال السياسي، في حين يقوم الدين من حيث هو وحي، على تأسيس منظومة قيمية ومعيارية تتجاوز اللحظة التاريخية، مع احتفاظه في الآن نفسه باليات تنزيل مرتبطة بالسياق.

ويُعدّ التوتر القائم بين هذين الأفقين توتراً إبستمولوجياً بالأساس، مردّه إلى غياب التمييز المنهجي بين مستويات الخطاب الديني، ولا سيما في مقامات السنة النبوية، ذلك أن كثيراً من القراءات التقليدية لم تُفعل التمييز الأصولي الدقيق بين مقام التبليغ (بوصفه وحياً ملزماً) ومقام الاجتهاد (بوصفه تدبيراً بشرياً مرتبطاً بالواقع)، وهو تمييز جوهري استقرّ في بعض التنظيرات الأصولية، لكنه لم يتحول إلى أداة تحليلية فاعلة في الممارسة الفقهية العامة، ويترتب عن هذا الخلط إشكال مركزي يتمثل في تعميم الدلالة وإطلاق الحكم خارج سياقه التداولي، مما يؤدي إلى تجميد الفعل التأويلي وإغلاق إمكانات التجديد (الخمليشي، الاجتهاد تصوراً وممارسة، 2014).

ومن هذا المنظور، لا يمكن قراءة أزمة العلاقة بين المواطنة والدين بمعزل عن أزمة المنهج في التعامل مع النص، حيث يغيب الوعي بالسياق التاريخي والاجتماعي، لصالح

نزعة نصية حرفية تُسقط دلالات مطلقة على وقائع نسبية، وقد أشار عدد من المفكرين إلى أن هذا القصور المنهجي أسهم في إنتاج تصورات فقهية تتعامل مع الشريعة باعتبارها منظومة مغلقة، لا باعتبارها مجالاً مقاصدياً مفتوحاً على تحقيق العدل ودرء المفساد وجلب المصالح، يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: "إنه لا بُدَّ من إعادة النظر فيما يعتبره معظم الفقهاء الأصوليين من السَّنة حكماً شرعياً إلهياً، بينما كثير منها، أعنى نصوص السنة، لا تتضمن أحكاماً شرعية إلهية، بل تتضمن ما أسميه تدابير، وهي أحكام تنظيمية إدارية، وقد درج الفقهاء على اعتبار هذه أحكاماً شرعية؛ وهي ليست كذلك، ولها أمثلة كثيرة جداً في الشريعة، والاستنباط الفقهي وهذه نظرة شائعة عند جميع فقهاء المذاهب، إنَّ المنهج الأصولي هو الذي أدَّى إلى تكوين هذه النظرة، فإنَّ المنهج يقضي بأن كلَّ ما يعتبر سنة هو وارد لبيان الحكم الشرعي الإلهي، ولعل منشأ الخلل في المنهج، هو قضية مسلمة عند الأصوليين والفقهاء، وهي وظيفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أن يبين الأحكام الشرعية، وغفلوا عن أن من جملة مناصب النبي أنه كان حاكم دولة، كان قائد مجتمع، إنه رب أسرة، إنه عضو في مجتمع، وإنه إنسان يتفاعل مع محيطه وحياته ومع معاشريه من الناس، ومن هذه المنطلقات كلها وفي هذه الأطر كلها، كان الرسول يقول ويفعل ويقرر، فاعتبار أن قول الرسول وفعله وتقريره سنة صحيح، ولكنَّ تصنيف هذا القول وهذا الفعل وهذا التقرير بحسب جوانب الحياة التي كان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يتفاعل معها، فهذا ما يبدو أنهم غفلوا عنه (شمس الدين، 1999)".

وفي هذا السياق، يبرز الإسهام النقدي لبعض المفكرين، ومنهم أحمد الخمليشي، الذي دعا إلى إعادة قراءة تصرفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ضوء تعدد مقاماتها، مميزاً بين ما هو تشريعي تعبدي ثابت، وما هو تدبيري ظرفي قابل للتغيير. غير أن الإشكال، في عمقه، لا يكمن فقط في غياب هذا التمييز، بل في تحويل بعض التصرفات التاريخية إلى نماذج معيارية مطلقة، مما أفضى إلى تحوُّل الشريعة من فضاء مقاصدي مرِن إلى نسق تقعيدي جامد (الخمليشي، 2010، صفحة 31).

ومن جهة أخرى، يكشف تحليل بعض التصورات الفكرية الحديثة داخل العالم الإسلامي عن وجود نمط من إعادة إنتاج البنى المفاهيمية التقليدية، ولكن بلغة سياسية

معاصرة، كما هو الحال في مقولات "الحاكمية" و"الخلافة"، أو ما يسمى بالدولة الدينية؛ التي تُقدّم باعتبارها بديلاً عن الدولة الحديثة، لكنها في كثير من الأحيان تعيد إنتاج تصور هرمي للسلطة، يقوم على احتكار الحقيقة وتكريس مركزية المرجعية دون مراعاة لتعقيدات الاجتماع السياسي الحديث. إن في مقولات أهل الفقه والدين (الطبري، 1387، صفحة 609) و (ابن الأثير، 1997، صفحة 330) و (فارس، 2010، صفحة 207)، نجد مثلاً أن الأستاذ أبا الأعلى المودودي، يقول: "كانت أولى القواعد الأساسية لهذا الدولة- يقصد دولة الرسول صلى الله عليه وسلم- أن الحاكمية لله تعالى وحده، وأن حكومة المؤمنين في أصلها وحقيقتها خلافة، وليست حكومة مطلقة العنان، فيما تفعل، بل لابد لها من العمل تحت القانون الإلهي الذي يستمد ويؤخذ من كتاب الله وسنة الرسول" (المودودي، الخلافة والملك، 1978، صفحة 37).

ويقول: "غير المسلمين هم أهل الذمة يقرّون للدولة الإسلامية بالولاء والطاعة، وليسوا من مواطنيها، ولهم أحكامهم المعروفة في الفقه" (المودودي، 1981، صفحة 102) و (الخمليشي، 2014)، ثم يقول: فالإسلام يبنّ أساسين للمواطنة: الإيمان وسكنى دار الإسلام أو الانتقال إليها، فإذا كان المرء مؤمناً، ولكنه ما ترك تابعية دار الكفر، أي لم يهجرها إلى دار الإسلام ولم يستوطنها، فلا يعد من دار الإسلام.. (المودودي، تدوين الدستور الإسلامي، 1981، الصفحات 56-57).. والنساء لا حقّ لهن في الانتساب لأهل الحل والعقد؛ لأنّ المناصب الرئيسية في الدولة رئاسة كانت أو وزارة، أو عضوية مجلس الشورى، أو إدارة مختلف مصالح الحكومة- لا تفوّض إلى النساء، ولأنّ السياسة والحكم خارجان عن دائرة أعمال المرأة" (المودودي، تدوين الدستور الإسلامي، 1981، صفحة 65).

يلاحظ هنا أن المؤلف جزم بطريقة لا يسري إليها الارتياب، بأنّ الحاكمية لله تعالى، الحاكمية بمفهومها السياسي الذي رفعه قديما الخوارج، واليوم المودودي وسيد قطب، فإنها بهذا المفهوم إعلان لسفاح تم جهاراً نهاراً بين الدين والسياسة، ولا يمكن أن يتم أمر

من أمور السياسة إلا وسيف الإكراه والإرهاب والضغط المعنوي والمادي مسلط على كل مخالف!

ثم ذكر المودودي بأن أهل الذمة ليسوا من مواطني الدولة، ولهم شأن آخر هو أدنى مما عليه مواطني الدولة من المسلمين، وهذا تخريب فاضح لمنطق هذا المصطلح، بناء على النظرة الفقهية القديمة، وكذلك الشأن بالنسبة للمرأة في أنها لا تمكّن من عديد المسؤوليات، كما أنها لا دخل لها في السياسة، وقضايا الحكم، وإدارة شؤون البلاد". (برلاس) كما ورد في (جدعان، 2012، ص 65).

وفي المقابل، تُبذل محاولات تأويلية لإعادة إدماج هذه المفاهيم ضمن أفق مقاصدي يراعي تحولات الزمن ويستوعب تطور بنى الدولة، وهو ما نسعى إليه عبر هذه الدراسة. ويظهر هذا التعدّد في القراءات أنّ الإشكال لا يتصل بالنصوص في ذاتها بقدر ما يتصل بأدوات الفهم وآليات التأويل، الأمر الذي يجعل من مسألة "المنهج" شرطاً تأسيسياً لأي مشروع تجديدي، فغياب التمييز بين المقامات، وضعف الوعي بالسياق، والخلط بين الثابت والمتغير، كلها عناصر تفضي إلى إنتاج خطاب ديني غير قادر على التفاعل مع الواقع، بل وقد يتحول في بعض الحالات، إلى عامل من عوامل العزلة أو التوتر أو حتى التطرف.

وعليه، فإن إعادة بناء العلاقة بين المواطنة والدين تقتضي بالضرورة إعادة تأسيس إبستمولوجي لمنظومة الفهم، يقوم على تحرير النص من إسقاطات القراءة الأيديولوجية، وعلى استحضار المقاصد الكلية للشريعة باعتبارها أفقاً تأويلياً قادراً على استيعاب مفاهيم الحداثة، وفي مقدمتها مفهوم المواطنة، بما يحقق التوازن بين الانتماء القيمي والاندماج الاجتماعي، دون الوقوع في التعارض المفتعل بين الدين والدولة (الحداد، 2018، ص: 23).

يجدر بي أن أشير إلى أن بعض المواقف الدينية المحنّطة، كالتي سردها في الهامش قبل قليل، أو كتلك التي يدعو إليها أصحاب الإسلام السياسي ولدت لدى شباب المسلمين نوعين من الفقه: فقه الانتظار وفقه الاضطرار، الأول جعل منهم أناساً مسلوبين

الإرادة، غير قادرين على التقدم، أو بذل الوسع في حل مشاكل الراهن، وتدير قضايا المستقبل، وأضحى من خلال هذا الفقه أن مشاكل الدول الوطنية الحديثة سيؤجل حلها إلى أن تأتي خلافة على منهاج النبوة! (لزرقي، 2020، صفحة 19).

والثاني ولّد لدينا أفرادا تعقوهم على المستوى النفسي والاجتماعي عقدة الشعور بالذنب، وبالتالي عسر عليهم الاندماج في الحياة العامة، وذلك بسبب تمنع الفقه التقليدي من مجارة الحياة العصرية، فلا تجد جانبا من جوانب الحياة إلا ويغلق الطريق فيه أمام الناس بشعار التحريم الذي لا يُحفظ غيره، فالبنوك حرام، والسياحة حرام، والهجرة إلى بلاد غير المسلمين حرام، والتعامل مع غير المسلمين حرام إلا للضرورة، وغير ذلك من الموانع الكثيرة التي تجعل من الفرد المسلم فردا تحتويه الضرورات من كل جانب، وبالتالي لا يمكن أن يعيش من هو كذلك إلا ضمن نسق من الأمراض النفسية والاجتماعية.

\*\*

### المبحث الثالث: الخطاب الديني ومحددات الاندماج الأدبي.

يشكّل الخطاب الديني أحد أهم الحقول المؤثرة في تشكيل الوعي الجمعي داخل المجتمعات الإسلامية، لما له من قدرة على تصحيح التصورات، وبناء المواقف، وتحديد أنماط الانتماء والولاء، ومن ثمّ؛ فإنّ دراسة محدّدات الاندماج الأدبي لا يمكن أن تتم بمعزل عن تحليل طبيعة هذا الخطاب، من حيث بنيته المعرفية، وآلياته التأويلية، ووظائفه الاجتماعية.

#### 1.3 ماهية الخطاب الديني ووظيفته في تشكيل الوعي.

لا يُفهم الخطاب الديني هنا باعتباره مجرد نقلٍ للنصوص أو تكرارٍ للمأثور، بل بوصفه بناءً تداوليًّا مركّبًا، يتداخل فيه النص مع التأويل، والتاريخ مع الحاضر، والمرجعية مع الواقع؛ فهو بهذا المعنى عملية إنتاج للمعنى، تتجاوز حدود التبليغ إلى مجال التوجيه وإعادة تشكيل الوعي، يقول عبد الجبار الرفاعي: "ترحيل البروتستانتية الإسلامية للدين من الانطولوجيا إلى الإيديولوجيا جعل الإنسان ضحية فهم للدين،

يخرج الدين من حقله الخاص ويقحمه في مخاضات ومغامرات، تصادر ذات الشخص البشري، وتوهمه بوعود دنيوية خلاصية لا صلة للدين بها، ذلك ما تجلّى بوضوح في أدبياتها، فهذه الأدبيات أدبيات جنائزية تقود إلى القبر، لا تعثر في تلك الأدبيات على ما يؤشر إلى أن مهمة الدين في حياة الإنسان هي إرواء ما لم يرتو من سواه، ونعني حاجات الكينونة البشرية الذاتية الباطنية، المتمثلة بالحاجة لما يمنح معنى وهدفاً لحياته.. بنحو لا سبيل معه إلى إشباعها من منبع آخر (الرفاعي، 2019).

ويؤدي هذا الخطاب -وأعني به الرسمي- (لزرقي، 2024) وظيفة مركزية في تحديد أطر الفهم لدى الأفراد، إذ يساهم في رسم الحدود بين المشروع والمرفوض، ويُنتج أنماطاً من التصنيف القيمي، التي تنعكس بدورها على سلوك الأفراد ومواقفهم من القضايا العامة، ومن هنا تتجلى علاقته المباشرة بمسألة الاندماج الأدبي، باعتبار هذا الأخير مرتبطاً بمدى قبول الأفراد للأدبيات الدينية الرسمية، وانخراطهم فيها.

### 2.3 البنية المعرفية للخطاب الديني وأثرها في الاندماج.

تتحدد فاعلية الخطاب الديني في تحقيق الاندماج الأدبي بمدى انفتاح بنيته المعرفية، وقدرته على استيعاب التحولات الاجتماعية والثقافية، إذ يمكن التمييز في هذا السياق، بين نمطين رئيسيين:

-خطاب تقليدي مغلق: يقوم على إعادة إنتاج المعارف الموروثة دون مساءلة سياقاتها، ويعتمد مقاربة نصية حرفية تُغفل البعد المقاصدي، مما يؤدي إلى تضيق أفق الفهم، وتعزيز النزعات الإقصائية.

-خطاب تأويلي منفتح: يستحضر السياقات التاريخية والاجتماعية، ويُفعّل آليات الاجتهاد، ويربط النصوص بمقاصدها، بما يسمح بإنتاج فهم مرّن قادر على التفاعل مع الواقع.

ويتربّث عن هيمنة النمط الأول ضعف في قابلية الأفراد للاندماج في الأدبيات الرسمية، خاصة حين يشعرون بعدم قدرتها على الإجابة عن أسئلتهم المعاصرة، مما

يدفع بعضهم إلى البحث عن بدائل معرفية خارج الإطار المؤسسي (الحراق، 2016، الصفحة 59-71).

### 3.3 آليات التأويل وحدود إنتاج المعنى.

يُعدّ التأويل أحد المحددات الجوهرية في توجيه الخطاب الديني، إذ من خلاله تُبنى الدلالات، وتُستنبط الأحكام، وتُصاغ التصورات، غير أن الإشكال يبرز حين يُختزل التأويل في آليات جامدة، تُفضي إلى تعميم الأحكام، وإسقاطها على سياقات مغايرة، وفي هذا الإطار، تبرز أهمية التمييز بين:

- الثابت والمتغير،

- والمطلق والنسبي،

- والتعديدي والتدويري،

وهو تمييز من شأنه أن يفتح أفقًا أوسع للفهم، ويمنح الخطاب الديني مرونة في التعامل مع المستجدات، كما أن غياب هذا التمييز يؤدي إلى إنتاج خطاب يفتقر إلى القدرة التفسيرية، ويُضعف من جاذبيته لدى فئة الشباب، التي تبحث عن خطاب قادر على استيعاب تعقيدات الواقع.

### 4.3 الخطاب الديني بين الرسمية والموازاة.

تتوزع أشكال الخطاب الديني في المجتمعات الإسلامية بين خطاب رسمي تنتجه المؤسسات الدينية، وخطابات موازية تتشكل خارج هذا الإطار، ويؤثر هذا التعدد في طبيعة الاندماج الأدبي، حيث تتنافس هذه الخطابات على استقطاب الأفراد، وتوجيه وعيهم.

ويلاحظ أن ضعف الخطاب الرسمي في بعض السياقات، سواء على مستوى المضمون أو آليات التبليغ، قد يفتح المجال أمام الخطابات الموازية، التي قد تتميز بقدرة أكبر على التعبئة والتأثير، خاصة في ظل توظيف الوسائط الرقمية (لزرقي، المقالة الفقهية في الجزائر ومعضلة الاندماج الثقافي: المواطنة أنموذجًا، 2024)، ومن ثمّ؛ فإن تعزيز الاندماج الأدبي يقتضي تطوير الخطاب الرسمي، من حيث:

- تجديد لغته،

- وتوسيع أفقه المعرفي،

- وتحسين أدوات تواصله مع الجمهور. (المستيري، 2014)

### 5.3 نحو خطاب ديني مؤسس للاندماج.

إن بناء خطاب ديني فاعل في تحقيق الاندماج الأدبي يقتضي تجاوز المقاربات الوعظية الضيقة، نحو رؤية معرفية شاملة، تقوم على:

○ تفعيل المقاصد الشرعية بوصفها إطاراً تأويلياً موجّهاً (الريسوني، 2015)،

○ استيعاب مناهج العلوم الإنسانية في تحليل الظواهر (الخمليشي، جمود الدراسات الفقهية أسبابه التاريخية والفكرية ومحاولة العلاج، 2010)،

○ الانفتاح على قضايا العصر وإشكالاته،

○ إعادة بناء العلاقة بين الفرد والمجتمع على أساس المواطنة،

وبذلك، يتحول الخطاب الديني من أداة للتلقين إلى فضاء للحوار، ومن نسق مغلق إلى بنية مفتوحة، قادرة على إنتاج المعنى في سياق متغير.

إذن فالخطاب الديني يمثل محدداً حاسماً في تحقيق الاندماج الأدبي، إذ تتوقف فاعليته على طبيعة بنيته المعرفية، وآليات تأويله، وقدرته على التفاعل مع الواقع، وبالتالي؛ فإن تجديد هذا الخطاب، على أسس منهجية ومقاصدية، يُعدّ شرطاً أساساً لبناء وعي مندمج، قادر على التوفيق بين المرجعية الدينية ومتطلبات العصر.

\*\*

### المبحث الرابع: عوائق الاندماج وآفاق تحقيقه.

تتداخل عوائق الاندماج الثقافي والأدبي في العالم الإسلامي ضمن شبكة معقدة من العوامل الفكرية والمعرفية والاجتماعية، التي تُسهّم في تشكيل أنماط من الوعي تُعيق انخراط الأفراد، ولا سيما فئة الشباب، في الفضاء الثقافي المشترك. ويمكن مقارنة هذه

العوائق من خلال جملة من المحددات البنوية التي تتصل بطبيعة العلاقة مع الدولة، وبأنماط التلقي الفكري، وبحدود الفعل الفقهي في سياق التحولات المعاصرة.

#### 1.4 التوتريين المرجعية الدينية وبنية الدولة الحديثة.

يُعدّ إدراك طبيعة الدولة الحديثة أحد أبرز مداخل فهم عوائق الاندماج، إذ تُبدي بعض الفئات داخل المجتمعات الإسلامية توجساً من النماذج السياسية القائمة، خاصة حين تُوصف بكونها "علمانية"، بما تحمله هذه التسمية من حمولة دلالية متباينة، وينشأ عن هذا التوجس موقف إشكالي من الدولة ومؤسساتها، يُفضي في بعض الحالات إلى ضعف الانخراط في المجال العمومي، أو إلى إنتاج خطاب نقدي ذي نزعة تقابلية.

غير أن تحليل هذا المعطى يقتضي تجاوز القراءة التبسيطية، بالنظر إلى أن الدولة الحديثة، في سياقات التعدد الثقافي والديني، تقوم على تنظيم المجال السياسي وفق قواعد قانونية مشتركة، تضمن الحد الأدنى من التعايش والاستقرار، ومن ثمّ؛ فإن إعادة بناء العلاقة بين الفرد والدولة على أساس المواطنة القانونية، بعيداً عن التداخل غير المنضبط بين الديني والسياسي، يُعدّ شرطاً ضرورياً لتجاوز أنماط الصراع الرمزي، وتعزيز إمكانات الاندماج، يقول محمد الحداد: "أما أزمة الدولة فلا تجد لها حلاً إلا بالوفاق الاجتماعي الواسع على طبيعتها وشرعيتها، ولن يتحقق هذا الوفاق في المجتمعات العربية والإسلامية إلا بإثبات الطبيعة المدنية للدولة، ونقض دعوى مخالفتها للدين، والرد على أطروحة الدولتين كما يدافع عنها منظرون غربيون في العلوم السياسية..". (الحداد، 2018، ص 15).

#### 2.4 الاغتراب الفكري للفرد.

يمثل أحد العوائق المركزية في حالة الاغتراب الفكري التي قد يعيشها الفرد، حين ينفصل وعيه عن سياقه التاريخي والاجتماعي، ويستقر ضمن أطر معرفية لا تعكس تحديات الواقع الراهن، ويؤدي هذا الانفصال إلى انشغال الذهن بقضايا مستهلكة أو مؤطرة ضمن سياقات ماضية، على حساب الانخراط في معالجة الإشكالات المعاصرة.

ويترتب عن ذلك نوع من الازدواجية في الوعي، حيث يتأرجح الفرد بين مرجعية تراثية غير مفعلة في سياقها الأصلي، وواقع متغير لا يمتلك أدوات قراءته، مما ينعكس سلباً على قدرته على التفاعل الثقافي والإنتاج المعرفي.

#### 3.4 العزلة الثقافية للمجتمعات.

لا يقتصر الاعتبار على الأفراد، بل يمتد ليشمل البنى المجتمعية، حيث تتخذ بعض المجتمعات مواقف انكفائية تجاه الفضاء الثقافي العالمي، بما يحدّ من مشاركتها في إنتاج المعرفة أو التفاعل مع منجزات الإنسانية، ويؤدي هذا الانغلاق إلى ضعف الحضور الثقافي، وإلى تراجع دينامية التبادل المعرفي، بما ينعكس على موقع هذه المجتمعات ضمن النسق الحضاري العام، يقول إبراهيم البليهي: "منذ أن وجدت المجتمعات وهي تتوارث ثقافات موغل في القدم، ورغم تباين الثقافات فإن كل ثقافة تقليدية تربي أهلها على توهم الامتياز المطلق، وكلما اشتد انغلاق الثقافة اشتد وثوقها، واستحكمت أوهام الامتياز في عقول أبنائها. وبالتالي لا يحتاجون إلى أن ينفثوا على ثقافات وتجارب الأمم المغايرة.." (البليهي، 2010، ص 18).

ومن ثمّ، فإن الاندماج الثقافي لا يعني الذوبان أو فقدان الخصوصية، بقدر ما يعني الانخراط الواعي في إنتاج المعرفة، والتفاعل النقدي مع الآخر، ضمن أفق إنساني مشترك.

#### 4.4 إشكالية الفعل الفقهي في السياق المعاصر.

يمثل الفقه أحد أهم الحقول المؤثرة في تشكيل الوعي، غير أن الإشكال يبرز حين يتحول من أداة لفهم الواقع وتوجيهه، إلى نسق تكراري يعيد إنتاج إجابات ماضية دون مساءلة شروطها التاريخية، ويُلاحظ في هذا السياق أن جزءاً من الخطاب الفقهي المعاصر لا يزال يتحرك ضمن منطق ردّ الفعل، بدل المبادرة إلى بناء تصورات اجتهادية قادرة على استيعاب التحولات، يقول الدكتور أحمد الخمليشي: "الفكر الإصلاحية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، آمن بأن ما أصاب المجتمعات الإسلامية من تخلف عرضها للاحتلال الغربي، ناتج عن عكوفها طيلة قرون على التقليد الذي أغرقها في الجهل

والفقر والفرقة، وهو ما عاقبها عن تدبير أمورها بما يفرضه عليه دينها، من العلم، وتحمل مسؤولية التكليف، مكتفية بالمظاهر الشكلية للتدين، واستسلمت في علاقاتها الاجتماعية لخليط متوارث من الاجتهادات الفقهية التي تجاوز الزمن قسما مهما منها، ومن الأعراف والعادات التي لا تنتهي إلى الإسلام، ولا إلى اجتهادات فقهاءه، ثم يُرجع الدكتور إخفاق العملية الاجتهادية إلى خلل في عنصرين، وهما: الاختصاص بالاجتهاد، وطبيعة الرأي الاجتهادي" (الخمليشي، الاجتهاد تصورا وممارسة، 2014، ص ص: 165-166).

وتتعمق هذه الإشكالية حين يُختزل الإنسان في كونه "مكلفًا" ضمن منظومة من الأوامر والنواهي، دون استحضار أبعاده الأخرى المرتبطة بالفعل الحضاري والاستخلافي، وهو ما يحدّ من إمكانات بناء ذات فاعلة قادرة على الإسهام في المجال العام.

ومن هذا المنطلق، تبرز الحاجة إلى إعادة بناء التصور الفقهي على أساس مزدوج يجمع بين: البعد التكليفي (العبادي والتشريعي)، والبعد الاستخلافي (العمراني والحضاري)، بما يسمح بتوسيع أفق الفعل الإنساني، وربطه بقيم المواطنة، والانخراط في قضايا المجتمع، والمساهمة في إنتاج المعرفة.

من خلال ما سبق: يتبين أن عوائق الاندماج الثقافي والأدبي في العالم الإسلامي لا ترجع إلى عامل واحد، بل إلى تداخل معقد بين:

- توتر العلاقة مع الدولة،
- واغتراب الوعي الفردي،
- وعزلة البُنى المجتمعية،
- وقصور الفعل الفقهي عن مواكبة التحولات.

وهو ما يفضي إلى إنتاج أنماط من الوعي غير قادرة على تحقيق التوازن بين الانتماء القيمي والانخراط في الواقع، الأمر الذي يجعل من إعادة بناء هذه المحددات شرطاً أساساً لتفعيل مسار الاندماج في أبعاده الثقافية والأدبية.

\*\*

### المبحث الخامس: التحديات والحلول المقترحة.

لا يمكن مقارنة إشكالية الاندماج الثقافي والأدبي في العالم الإسلامي بمعزل عن استحضار طبيعة التحديات البنيوية التي تعترضها، إذ إن هذه التحديات لا تتوزع على مستوى واحد، بل تتداخل ضمن مستويات اجتماعية وثقافية، واقتصادية، وسياسية-تشريعية، مما يستدعي بناء رؤية إصلاحية مركبة، تتجاوز الحلول الجزئية نحو مقارنة نسقية شاملة.

#### 1.5 على المستوى الاجتماعي والثقافي.

تتمثل أولى مداخل الإصلاح في إعادة تشكيل الوعي الجمعي، من خلال مراجعة المنظومات التربوية والثقافية التي تسهم في بناء التصورات لدى الأفراد، ويقتضي ذلك إدماج أطروحات معرفية داخل المناهج التعليمية تعزز قيم التعدد، والانفتاح، والتعايش، مع إعادة تقديم المعرفة الدينية في إطارها الإنساني الكلي، بما يبرز وحدة المصدر القيمي للأديان، ويُنبغي لدى المتعلمين وعيًا تاريخيًا نقديًا بمساراتها. وفي السياق ذاته، يبرز دور المؤسسة الدينية، لا سيما المساجد، في إعادة توجيه الخطاب الديني نحو أفق أكثر انفتاحًا، وذلك من خلال تأهيل الأئمة تأهيلًا معرفيًا ومنهجيًا، يتيح لهم استيعاب التحولات الفكرية المعاصرة، والتفاعل مع مختلف الأنساق المعرفية، والاستفادة من مناهج العلوم الإنسانية الحديثة في تحليل الظواهر الاجتماعية والدينية.

كما يُعدّ تمكين النخب الفكرية والعلمية من الإسهام الفعلي في النقاش العمومي أحد الشروط الأساسية لتعزيز الاندماج، وذلك عبر إنشاء مراكز بحث ومخابر علمية متعددة التخصصات، تُعنى بدراسة الإشكالات المجتمعية، واقتراح حلول عملية قائمة على أسس علمية، مع ضمان انفتاحها على مختلف التيارات الفكرية ضمن إطار من الحوار المنهجي الرصين.

#### 2.5 على المستوى الاقتصادي والتنموي.

لا ينفصل الاندماج الثقافي عن شروطه المادية، إذ إن تعثر البنى الاقتصادية يُنتج بالضرورة اختلالات في أنماط الاندماج، ومن هذا المنطلق؛ تبرز الحاجة إلى إعادة النظر في بعض القضايا الاقتصادية الإشكالية، وفي مقدمتها مسألة النظام البنكي، بما يقتضي

مقاربة علمية تتجاوز الطرح الثنائي (الإباحة/التحريم) نحو فهم طبيعة المؤسسات المالية الحديثة بوصفها أدوات تنظيمية ضرورية في الاقتصاد المعاصر.

كما تُمثل السياحة أحد المجالات الحيوية التي يمكن أن تسهم في تعزيز الانفتاح الثقافي، شريطة إعادة تأطيرها ضمن رؤية تنموية متوازنة، تراعي الخصوصيات الثقافية دون أن تتحول إلى عائق أمام التفاعل الحضاري، وهو ما يستدعي تطوير مقاربات جديدة تجمع بين البعد الاقتصادي والبعد القيمي، بما يسمح بتفعيل دور السياحة في تحقيق الاندماج دون الإخلال بالمرجعيات المجتمعية.

### 3.5 على المستوى السياسي والتشريعي.

يُعدّ البعد السياسي من أكثر المستويات حساسية في إشكالية الاندماج، نظرًا لارتباطه المباشر بطبيعة الدولة وأنماط الشرعية التي تقوم عليها، وفي هذا الإطار؛ تبرز ضرورة تطوير الأدوات النظرية التي تحكم العلاقة بين الدين والسياسة، ومن ذلك إعادة بناء نظرية مقامات التصرفات النبوية، وتوسيعها لتصبح إطارًا تحليليًا فاعلاً في التمييز بين ما هو تشريعي ثابت، وما هو تديري متغير.

كما تقتضي الحاجة مراجعة المقاربات السياسية التقليدية التي لا تزال تستحضر أنماطًا تاريخية في الحكم، دون مراعاة للتحويلات العميقة التي عرفتها بنية الدولة الحديثة، ومن ثم؛ فإن الانتقال إلى تصور سياسي منسجم مع منطق الدولة الوطنية، والقائم على مبدأ المواطنة، يُعدّ شرطًا لتجاوز حالات التوتر بين الانتماء الديني والانتماء السياسي.

### 4.5 الأدوار المؤسسية في تفعيل الاندماج.

يتطلب تحقيق الاندماج الثقافي والأدبي تفعيل أدوار الفاعلين المؤسسيين ضمن رؤية تكاملية، يمكن إجمالها فيما يلي:

✓ المؤسسات التربوية: عبر تطوير المناهج التعليمية في مختلف المراحل، بما يعزز قيم المواطنة والانفتاح، ويربط المعرفة الدينية بسياقاتها المقاصدية والإنسانية.

✓ **المؤسسة الدينية:** عبر تجديد مناهج تكوين الأئمة، وتطوير الخطاب المسجدي، بما يجعله أكثر قدرة على الاستجابة لتحديات الواقع، مع إشراك المجتمع المدني في جهود تجديد الخطاب الديني.

✓ **مراكز البحث العلمي:** عبر إنشاء ودعم مخابر بحث متعددة التخصصات، تُعنى بدراسة القضايا الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، وتقديم بدائل علمية قابلة للتطبيق، مع ضمان انفتاحها على مختلف التخصصات والانتماءات الفكرية.

✓ **المؤسسات الاقتصادية:** عبر معالجة الإشكالات المرتبطة بالنظام المالي، وتطوير أدوات اقتصادية تستجيب لمتطلبات العصر، بما يعزز الثقة في المؤسسات، ويدعم الاستقرار الاجتماعي.

✓ **المؤسسات السياسية والتشريعية:** عبر تطوير نظريات سياسية واضحة المعالم، قادرة على التوفيق بين المرجعية القيمية ومتطلبات الدولة الحديثة، بما يمنع توظيف الدين في الصراعات السياسية، ويعزز الاستقرار المؤسسي.

يتضح مما سبق: أن تجاوز عوائق الاندماج الثقافي والأدبي في العالم الإسلامي لا يمكن أن يتم عبر معالجات جزئية أو ظرفية، بل يقتضي إعادة بناء شاملة لمنظومات التفكير والمؤسسات، تقوم على:

- إصلاح الوعي (تربوياً وثقافياً)،
- وتحديث البنى الاقتصادية،
- وإعادة تأصيل العلاقة بين الدين والسياسة،
- وتفعيل الأدوار المؤسسية ضمن رؤية تكاملية .

وبذلك، يتحول الاندماج من كونه إشكالاً نظرياً إلى مشروع حضاري متكامل، يستهدف بناء إنسان قادر على الجمع بين الانتماء القيمي والانخراط الفاعل في الواقع، بما يسهم في إعادة إدماج المجتمعات الإسلامية ضمن الفضاء الإنساني المشترك، لا بوصفها متلقية فحسب، بل بوصفها فاعلاً مشاركاً في إنتاج المعنى والحضارة.

## \*- خاتمة

وفي النهاية خلصت هذه الدراسة إلى أن إشكالية الاندماج الثقافي والأدبي في العالم الإسلامي لا يمكن اختزالها في بعدٍ واحد، أو ردها إلى عامل منفرد، بل هي بنية مركبة تتداخل فيها الأبعاد المعرفية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، في سياق تاريخي يشهد تحولات عميقة في أنماط التفكير، وبنية الدولة، ومنظومات القيم.

وقد بيّنت الدراسة، في بعدها المفاهيمي، أن الاندماج الثقافي والأدبي لا يعني الذوبان أو التماهي، بقدر ما يُحيل إلى عملية تفاعل ديناميكي تُنتج إطارًا قيميًا مشتركًا، يسمح للأفراد وخاصة فئة الشباب- بالانخراط الواعي في الفضاء الاجتماعي، دون التفريط في الخصوصيات الثقافية، كما أكدت أن الاندماج الأدبي، في دلالته الإجرائية، يرتبط بمدى انخراط الأفراد في تبني الأدبيات الدينية المؤسسية، بوصفها مرجعية ضابطة للفهم والتوجيه، في مقابل الأدبيات الموازية ذات النزعات الاحتجاجية أو المتطرفة.

وفي سياق تحليل العلاقة بين المواطن والدين، أبرزت الدراسة أن جوهر الإشكال لا يكمن في تعارض بنيوي بينهما، بقدر ما يتمثل في طبيعة المقاربات المعرفية التي تحكم فهم النصوص الدينية، وحدود التمييز بين الثابت والمتغير، وبين ما هو تعبدي وما هو تديري، وقد تبين أن غياب هذا التمييز أفضى إلى إنتاج قراءات مغلقة، أسهمت في إعاقة تشكل وعي مواطني منفتح، قادر على التوفيق بين الانتماء الديني والانتماء السياسي.

كما كشفت الدراسة عن جملة من العوائق البنيوية التي تحول دون تحقيق الاندماج، من أبرزها: التوتر في العلاقة مع الدولة الحديثة، وحالات الاغتراب الفكري للفرد، والعزلة الثقافية للمجتمعات، فضلاً عن محدودية الفعل الفقهي في مواكبة التحولات المعاصرة، وقد أظهرت هذه العوائق أن الأزمة في جوهرها أزمة منهج، تتصل بكيفية إنتاج المعرفة الدينية، وآليات تنزيلها في الواقع.

وفي مقابل ذلك، اقترحت الدراسة جملة من المسارات الإصلاحية التي تنطلق من ضرورة إعادة بناء المنظومات التربوية والثقافية، وتحديث الخطاب الديني، وتمكين النخب العلمية، وإعادة تأطير القضايا الاقتصادية، فضلاً عن تطوير المقاربات السياسية والتشريعية بما ينسجم مع منطق الدولة الوطنية ومبدأ المواطنة، كما أكدت

على مركزية الدور المؤسسي- تربويًا ودينيًا وبحثيًا- في تفعيل هذه التحولات، ضمن رؤية تكاملية تتجاوز المقاربات الجزئية.

ويمكن القول، في ضوء ما سبق، إن تحقيق الاندماج الثقافي والأدبي في العالم الإسلامي يظل رهينًا بإحداث نقلة نوعية في مستوى الوعي والمنهج، تقوم على تحرير الفعل التأويلي من الانغلاق، واستحضار المقاصد الكلية للشريعة، وربطها بسياقاتها التاريخية والاجتماعية، بما يفتح أفقًا لتفاعل إيجابي مع مفاهيم الحداثة، وفي مقدمتها المواطنة.

\*\*

## المصادر والمراجع

### أولاً: الكتب

1. أركون، محمد. (1995). *أين هو الفكر الإسلامي المعاصر*. بيروت: دار الساقي.
2. ابن الأثير، مجد الدين الجزري. (1997). *الكامل في التاريخ* (مج. 2). لبنان: دار الكتاب العربي.
3. ابن فارس، أحمد الرازي. (1979). *معجم مقاييس اللغة* (مج. 2) (ع. هارون، محرر). بيروت، لبنان: دار الفكر.
4. ابن منظور، محمد. (د.ت.). *لسان العرب* (مج. 9). بيروت، لبنان: دار صادر.
5. برلاس، أسماء. (د.ت.). *النساء المؤمنات في الإسلام*.
6. البليهي، إبراهيم. (2010). *حصون التخلف* (مج. 1). لبنان: منشورات الجمل.
7. بن نبي، مالك. (2000). *مشكلة الثقافة*. بيروت، لبنان: دار الفكر.
8. الجرجاني، علي بن محمد. (1983). *التعريفات*. لبنان: دار الكتب العلمية.
9. جدعان، فهي. (2012). *خارج السرب: بحث في النسوية الإسلامية الراضية وإغراءات الحرية*. لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
10. الحداد، محمد. (2018). *الدولة العالقة: مآزق المواطنة والحكم المدني في المجتمعات الإسلامية* (مج. 1). تونس: دار التنوير.
11. الحراق، محمد التهامي. (2016). *إني ذاهب إلى ربي سيهدين: مقاربات في راهن التدئين ورهاناته* (مج. 1). المغرب: دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
12. الخمليشي، أحمد. (20). (10) *جمود الدراسات الفقهية: أسبابه التاريخية والفكرية ومحاولة العلاج*. مصر: دار الكلمة للنشر والتوزيع.
13. الخمليشي، أحمد. (2014). *الاجتهاد تصوّرًا وممارسة*. القاهرة: دار الكلمة للنشر والتوزيع.
14. خياط، يوسف. (د.ت.). *معجم المصطلحات العلمية والفنية*. لبنان: دار لسان العرب.
15. الرازي، أبو بكر. (1999). *مختار الصحاح*. لبنان: المكتبة العصرية.

16. الرفاعي، عبد الجبار. (2019). *الدين والظلم الأنطولوجي* (مج. 4). بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.
17. الريسوني، أحمد. (2015). *محاضرات في مقاصد الشريعة* (مج. 4). القاهرة: دار الكلمة للنشر والتوزيع.
18. زواقة، بدر الدين. (2019). *الآخر الحلقة المفقودة في التواصل الإنساني الحضاري بين فاعلية الإيمان وعائق التكفير*. عنابة: العقاد للنشر والإعلام.
19. الشرفي، عبد المجيد. (2009). *الإسلام والحداثة*. لبنان: دار المدار الإسلامي.
20. شمس الدين، محمد مهدي. (1999). *الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي* (مج. 1). لبنان: المؤسسة الدولية للدراسات والنشر.
21. الطبري، محمد بن جرير. (1387 هـ). *تاريخ الرسل والملوك* (مج. 3). لبنان: دار التراث.
22. عمر، أحمد مختار. (2008). *معجم اللغة العربية المعاصرة* (مج. 1). لبنان: عالم الكتب.
23. غربال، محمد شفيق. (د.ت.). *الموسوعة العربية الميسرة*. القاهرة: دار الشعب.
24. الفارابي، أبو نصر. (د.ت.). *منتخب من صحاح الجوهري*.
25. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (2005). *القاموس المحيط*. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
26. المستيري، محمد. (2014). *جدل التأصيل والمعاصرة في الفكر الإسلامي* (مج. 1). تونس: منشورات كرم الشريف.
27. مصطفى، إبراهيم، الزيات، أحمد، عبد القادر، حامد، والنجار، محمد. (د.ت.). *المعجم الوسيط*. دار الدعوة.
28. المكي، ناشيد. (2018). *الدرس الديني وعوائق بناء قيم التسامح*. المغرب: إفريقيا الشرق.
29. المناوي، عبد الرؤوف بن علي. (1990). *التوقيف على مهمات التعاريف*. القاهرة: عالم الكتب.
30. المودودي، أبو الأعلى. (1978). *الخلافة والملوك*. الكويت: دار القلم.
31. المودودي، أبو الأعلى. (1981). *تدوين الدستور الإسلامي*. لبنان: مؤسسة الرسالة.
32. ميموني، رشيد. (2009). *البعد الاجتماعي في القرآن الكريم*. قسنطينة: مخبر علم اجتماع الاتصال.

#### ثانيًا: المقالات العلمية والصحفية

1. الخراشي، بسم. (20 أبريل، 2024). *التعايش والتفاعل مع الآخر من خلال وثيقة المدينة: قراءة تاريخية حضارية*. *المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات*.
2. مي يوسف، باية. (2022). *إشكالية الاندماج والتكامل في الهوية متعدّدة الثقافات*. *مجلة آفاق العلوم*، 638-625.
3. صميده، سهام عبد الحميد. (2020). *شبكات التواصل الاجتماعي والثقافة الكونية: بحث في الأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية*. *مجلة كلية الآداب*، 100.
4. فارس، عزت محمود. (2010). *قراءة في العهدة العمرية*. *مجلة جامعة دمشق*، (26).

5. كرومي، أحمد. (2000). الحداثة/ المواطنة والحقل الفقهي: عناصر من أجل مقارنة شكلية. *إنسانيات*، 53-65.
  6. لخذاري، عبد الحق. (2021، 27 يونيو). ترسيخ ثقافة التعايش الإنساني المشترك في صحيفة المدينة. *مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية*، 628-664.
  7. لزرق، لخضر. (2020، 3 أكتوبر). لماذا ينعدم عندنا التفكير في المستقبل. *جريدة النصر*. (16338)
- ثالثاً: المواقع الإلكترونية والمدونات**
1. أمنشار، نعمان. (2018، 9 أبريل). *الهجرة وسؤال الاندماج الثقافي*. مدونات الجزيرة. استُرجع في 11 نوفمبر 2023، من  
<https://www.aljazeera.net/blogs/2018/4/9/%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%AC%D8%B1%D8%A9-%D9%88%D8%B3%D8%A4%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AF%D9%85%D8%A7%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A>
  2. الموسوعة السياسية. (د.ت.). *القاموس السياسي*. استُرجع من-<https://political-encyclopedia.org/dictionary>

#### رابعاً: ملتقيات

1. لزرق، لخضر. (2024). *المقالة الفقهية في الجزائر ومعضلة الاندماج الثقافي: المواطنة أم نموذج* [ورقة علمية]. الملتقى الوطني: الخطاب الديني والثقافات الفرعية في الفضاء العمومي بالجزائر، واقع الفعل التواصل بين التمثيلات الممارسات التفاعلات، تيارت.